

المدارس الفكرية في الآثار خلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي (2)

نموذج: التاريخ الثقافي او تاريخ الثقافة (cultural, or culture history)

جاء بعد داروين مفهوم التاريخ الثقافي، أو تاريخ الثقافة، وهي فكرة تقوم بجمع المواقع في "ثقافات" مميزة ، لتحديد مدى الانتشار الجغرافي لهذه الثقافات، وإعادة بناء التفاعلات وتدفق الأفكار بينها. ومصطلح التاريخ الثقافي، كما يوحي اسمه، له علاقة وثيقة بعلم التاريخ. فالمؤرخون يعملون بما يسمى بالنموذج المعياري للثقافة، على مبدأ أن كل ثقافة هي مجموعة من القواعد التي تحكم السلوك البشري. وهكذا، يمكن التمييز بين الثقافات من خلال أمط من الحرف، على سبيل المثال، إذا تم اكتشاف قطعة فخار مزخرفة بخطوط مموجة، وأخرى بمثلثات، فمن المرجح أنهم ينتمون إلى ثقافات مختلفة.

مثل هذا النهج يؤدي بطبيعة الحال إلى وجهة نظر في الماضي باعتباره مجموعة من السكان المختلفين، مصنّفين حسب اختلافاتهم وتأثيرهم على بعضهم البعض. ويمكن تفسير التغيرات في السلوك بانتشار (diffusion) أو انتقال الأفكار الجديدة من خلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من ثقافة إلى أخرى.

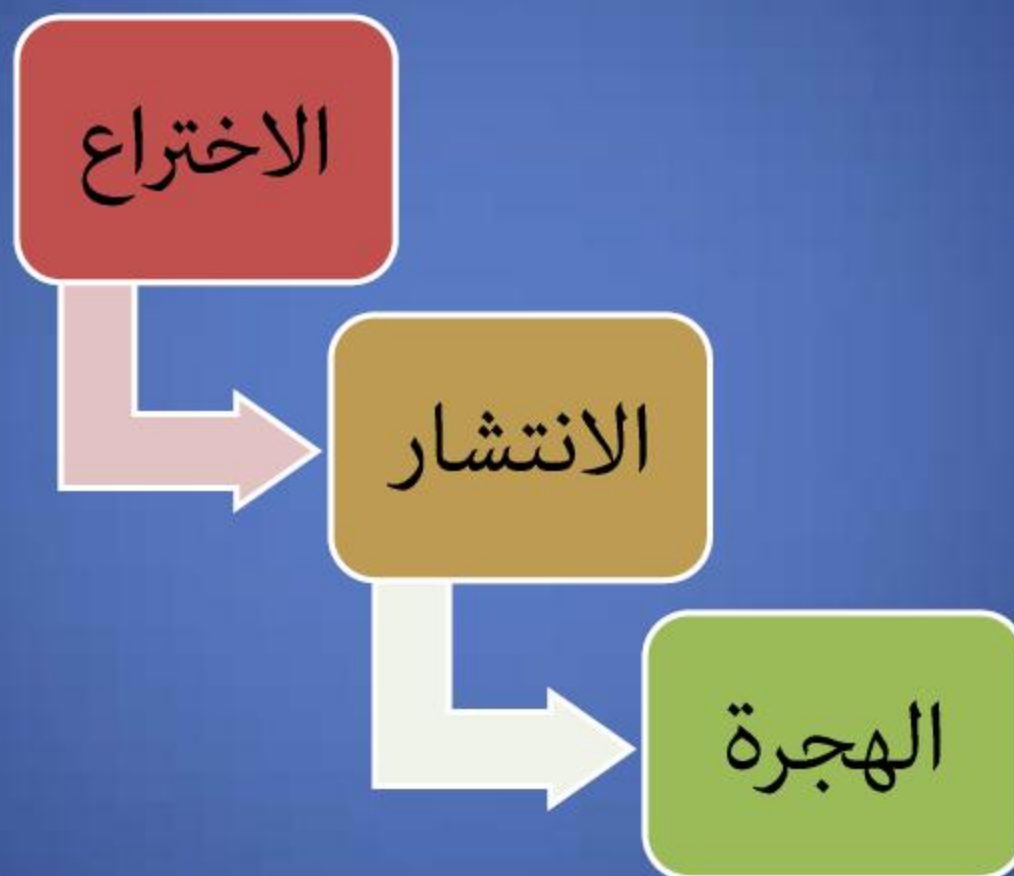
1

الثقافات التاريخية المتميزة:

مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة

كانت البدايات الأولى تعتمد على تفسير عملية التغير الثقافي لأحد ثلاثة أسباب: اما ان التغير حدث بسبب **اختراع** جديد في داخل الثقافة او بسبب **انتشار الأفكار** من مجموعة لأخرى بسبب التجارة او بسبب **الهجرة**، ونعني بها هجرة الأفراد او المجموعات. وكانت النقطة الأساسية لفكرة التاريخ الثقافي هو الاعتقاد بأنه يمكن تقسيم الجنس البشري إلى "ثقافات" مختلفة كانت في كثير من الحالات مختلفة عن بعضها البعض. عادة كان ينظر إلى كل من هذه الثقافات على انها تمثل اجناس عرقية مختلفة. ومن وجهة النظر الأثرية، كان يعتقد أنه يمكن تمييز كل من هذه الثقافات بسبب الثقافة المادية لها، مثل نمط الفخار الذي تنتجه او أشكال الدفن الذي مارسته.

اسباب التغير الثقافي



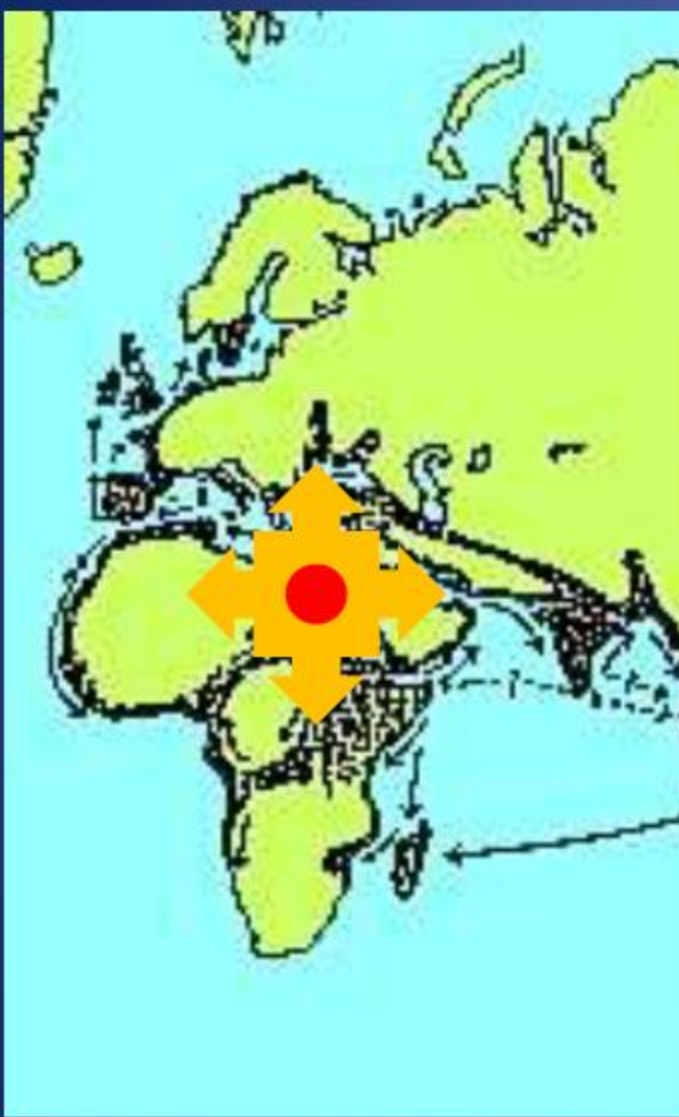
2

الانتشار والهجرة (Diffusion and migration):

تم تفسير التغيرات في ثقافة المجتمع **بانتشار الأفكار** من ثقافة إلى أخرى، أو عن طريق **الهجرة** من أفراد مجتمع واحد إلى منطقة جديدة، وأحياناً عن طريق **الغزو**. وكان هذا مناقضاً لفكر النظرية التطورية التي بالرغم من أنها تقبل أفكار الانتشار والهجرة كأسباب للتغير الثقافي، فإنها كانت تقبل أيضاً مفهوم التطور الثقافي المستقل الذي يمكن أن يحدث داخل المجتمع، وهو من الأمور التي لم يكن يقبلها علماء نظرية تاريخ الثقافة.

طرح عدد من علماء آثار التاريخ الثقافي فكرة أن كل المعارف والتكنولوجيا في العالم القديم قد انتشرت من مصدر واحد في الشرق الأوسط، والذي من ثم انتشر في معظم أنحاء العالم من خلال التجارة. على سبيل المثال طرح النمساوي جرافتون إليوت سميث (Grafton Elliot Smith) في نمو الحضارة (1924) (Growth of Civilisation)، **فكرة أن الزراعة والعمارة والدين والدولة** قد نشأت كلها في مصر القديمة، حيث كانت الظروف مثالية لتطور مثل هذه الأفكار، وإنها انتشرت بعد ذلك إلى الثقافات الأخرى. اقترح لورد راغلان (Lord Raglan) في عام 1939، نظرية مماثلة لكنه كان يعتقد أن المصدر كان **بلاد ما بين النهرين** وليس مصر.

مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة



MAP I.

An attempt to locate the area of characterization of the Armenoid Race in Turkestan at the Glacial Epoch when it was cut off from the domain of the Brown Race by the great ice-wall (dotted line) and from the Nordic Race by the Arabo-Caspian Sea (indicated by crosses). The lines and arrows are intended to represent the movements of these three races when the great barriers of ice and water were removed.

3

الاستدلال الاستقرائي (Inductive reasoning):

استخدمت نظرية تاريخ الثقافة منهج الاستدلال الاستقرائي وهو منهج يعتمد على جمع المعلومات التي تستخدم لتوليد الفرضية. بمعنى آخر ان الاستقراء طريقة في كسب المعلومات أو المعطيات الأثرية عن طريق الاستنتاج الحسي أو بالحدس . بمعنى آخر وضع فرضية ، جمع معلومات ، وضع ملاحظات دقيقة حولها ، واستنتاج عام لحل مشكلة موضوع البحث . كل هذه الخطوات تشكل أسس النظرية التي يود الأثريون وضعها . لكن في كثير من الحالات وجد أن هذه الطريقة غير دقيقة في تحليل الظواهر .

مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة

ركز في ذلك بالاعتماد على المعلومات المقدمة من قبل المؤرخين القدماء الذين يمكن أن يفسروا الكثير من الأحداث التي ليس بالضرورة ان توجد في السجل الآثاري. ولما يتعلق الامر بمجتمعات ما قبل التاريخ، من دون هذا السجل التاريخي، فيمكن التعامل معها باستخدام النماذج الموضوعية لفترات لاحقة ، الا انه وبسبب تراكم الادلة الآثرية وضح ان تاريخ الثقافة لا يمكن أن تفسر أي شيء من هذا.

أحد الانتقادات التي توجه لهذه النظرية أنها كثيراً ما ركزت على دراسة شعوب العصر الحجري الحديث والفترات اللاحقة ، وتجاهلت الى حد ما الفترات المبكرة من تاريخ البشرية خلال العصر الحجري القديم، تكون الجماعات الثقافية المتميزة والاختلافات بينها أقل ملاحظة في السجل الآثاري.

1

يرى بعض من علماء الآثار أن استخدام المنهج الاستقرائي لا يفيد في حل مشاكل الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ؛ وهؤلاء يعتقدون أن المنهج الاستدلالي هو الأنسب في حل مشاكل هذا النوع من الأبحاث الأثرية . هذا الاعتقاد الرافض للمنهج الاستقرائي في الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ، في رأي عدد آخر من علماء الآثار هو رفض لكل المعطيات والمعلومات التي جمعت في الماضي ونشرت ؛ ويقول هؤلاء أن المنهج الاستقرائي يجب مراعاته في تنفيذ الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ؛ فهم يرون أن استخدام المنهجين معا ، المنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي في الدراسات الأثرية ، سوف يؤدي إلى إنتاج منهج متناسق ينتج عنه الخروج بافتراضات جديدة ذات أبعاد أكثر خصوصية ، وتعمم هذه الافتراضات وتخضع لاختبارات متوالية

2

نقد النظرية

الاستقرائي
(Inductive)

جمع المعلومات التي
تستخدم لتوليد الفرضية

الأستنتاجي
(deductive)

تكوين الفرضية مسبقاً
ويتم التركيز على استخلاص
الدليل الذي سيساعد على
تأكيد او نفي الفرضية

أهم باحثي التاريخ الثقافي في بدايات القرن العشرين:

عالم الآثار الأسترالي فير جوردون تشايلد (Vere Gordon Childe)



كان عالم الآثار الأسترالي فير جوردون تشايلد (Vere Gordon Childe) من أوائل من عملوا على استكشاف وتوسيع نطاق مفهوم العلاقات بين الثقافات وخصوصا في سياق ما قبل التاريخ في أوروبا

إفترض غوردن شايلد في أعماله أن التغيرات في الماضي قد حدثت نتيجة لما اسماه بالثورات (revolutions). وقد كتب شايلد عن ثورة عصر حجري حديث في فترة ما قبل التاريخ والتي أدت إلى قيام وتطور الزراعة ثم ثورة حضرية أدت إلى قيام الثورة الحضرية وقيام أول المدن

كان شايلد من أوائل الآثاريين الذين إهتموا بتلمس المواضيع الشائكة عن لماذا وكيف حدثت الأشياء وتغيرت في الماضي بالرغم من أنه كانت له موهبة عالية في تأليف وتركيب المعطيات ،كما عمل تأسيس التقاويم وتحليل أنواع . ولا تزال كثير من افكار غوردون شايلد تجد التقدير من كثير من الآثاريين

غوردون شايلد

غوردون شايلد

الثورة الصناعية

الحضارة
(الثورة الحضرية)

البربرية
(ثورة العصر الحجري
الحديث)

الهمجية

الرأسمالية (تطور صناعي
ضد التطور الزراعي)

مجتمعات زراعية وتطور
التقنيات القديمة

الزراعة

الصيد والجمع

التركيب
الاقتصادي

اعادة تنظيم المجتمعات في
مدن كبيرة

تنظيم المجتمع في مدن
وتطور الطبقات

ازدياد السكان والطبقات
البشرية

جماعات صغيرة العدد

التركيب
الاجتماعي

مقارنة بين افكار غوردون شايلد والافكار المبكرة في القرن التاسع عشر